

## ضيوف الرحمن في شهر رمضان



إذا كان الله قد شق<sup>ّ</sup> للناس سُبُّل الإحسان التي تفتح حيا لهم على الخير كلّه، فإن<sup>ّ</sup> هذه السُّبُّل لا تختصر بالساحات الممتدة في رحاب المكان، حيث الأرض التي تمتد بالإنسان لتصل به إلى غاياته في ما يريد أن يصل به إلى م الواقع أغراضه وحاجاته، بل تشمل ساحات الزمن – إن صح<sup>ّ</sup> أن يكون للزمن ساحات – حيث ينفتح الإنسان على كل<sup>ّ</sup> ما في آنائه، من ساعاته وأيامه وليلاته وشهوره، لتحتضن حركته في أجواء الخير كلّه، في ما تمتلىء به ساحة الزمن من أفعال الإنسان وأقواله، لتكون حركة الزمن في مسؤوليته طريقة إلى الله، كما تكون حركته في المكان طريقه إلى الله، في أجواء المسؤولية الشرعية.

وهكذا كان شهر رمضان سبيلاً<sup>ّ</sup> الذي أراد للإنسان أن يبدأ رحلته إلى ما أثاره فيه من أجواء، أو شرّع فيه من شرائع، أو حرّك فيه من أوضاع، وقد منحه الله شرف الانتماء إليه، ليعيش الشعور بالمضمون الروحي الذي يجعل الزمن إلهياً<sup>ّ</sup> يحمل في داخله سمو<sup>ّ</sup> المعنى الإلهي في ما يخترنه من رحمة وعافية ومغفرة ولطف ورضوان، وفي ما يمكن للعباد أن يحصلوا منه على المزيد من ذلك كلّه.

وليس معنى ذلك الاختصاص بالانتماء، بأن<sup>ّ</sup> الشهور الأخرى تفقد هذه الصفة في طبيعتها الزمنية، وفي

الألطاف الإلهية المحيطة بها، لأنّ الزمن كلاًّه خلُوقٌ إِنَّ الذي جعله مفتوحاً على الحياة كلاًّها، من أجل أن ينال فيه الإنسان رضاه، من خلال حركته في الواقع طاعته في ما كلاًّفه به من الأعمال التي تصل به إلى موضع القرب منه، لأنّ المسؤولية لا تخترقُ بزمنٍ معينٍ..

ففي كلّ لحظة زمنية، مهما صغُرت، تكليفٌ شرعي يتوجُّه فيه إِنَّ للإنسان بأن يقف فيه عند حدوده، ولكنّ معنى هذا الاختصاص - فيما يبدو - هو الانفتاح الكبير إِنَّ فيه على عباده بفيوضات رحمته، بما لم يجعله إِنَّ لزمن آخر في ما هي القيمة، وفي ما هو المستوى في الكمية والنوعية.. وهذا ما تعبّر عنه الكلمات المأثورة عن رسول إِنَّ محمدٌ (ص)، في ما رُوي عنه من خطبته التي استقبل بها شهر رمضان، في آخر جمعة من شعبان، فقد جاء فيها:

"أيها الناس، قد أقبل عليكم شهر إِنَّ بالرحمة والمغفرة، شهرٌ هو عند إِنَّ أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، قد دُعِيتُم فيه إلى صيافة إِنَّ، وجُعلتُم فيه من أهل كرامة إِنَّ، أنفاسكمُ فيه تسبيح، ونومكمُ فيه عبادة، وعملكمُ فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا إِنَّ بنيات صادقةٍ وقلوبٍ طاهرة، أن يوفّقكم لصيامه وتلاوته، كتابه، فإنّ الشقيّ من حُرمَ غفرانَ إِنَّ في هذا الشهر العظيم".

فنحن نلاحظ في هذه الكلمات، احتضان إِنَّ للإنسان برحمته وبركته ومغفرته في هذا الشهر، فقد حوالَ في نومه إلى عبادة، وأنفاسه إلى تسبيح، وتقبلَ في عمله، واستجاب فيه دعاءه بالدرجة التي لم يمنحها له في أيّ شهر آخر. إنّ الإحساس الإنساني الروحي الحميم بالجوّ الرمضاني الذي يدخل إليه الإنسان ضيفاً مكرّماً، يتغذّى بالرحمة والبركة والمغفرة في أجواء العطف واللطف والحنان بشكل مميّز حميم، حيث يعيش الإحساس بإنسانيّته المنطلقة من روح إِنَّ عندما نفح فيه الروح فأعطيه شيئاً من سموّها الذي يتصل بها، وينفتح عليه في محبةٍ واحتضان، حتى يحسّ في هذا الاندماج الروحي بالعلاقة التي ينسى فيها عبوديته، وهو في قمة الخشوع في ممارستها.